

أحبة

النافورة وعليه الاعلام الخافضة والاشجار
القائمة .

خمس عشرة سنة قضاهما سليم بعيدا
عن المدينة التي كانت مسقط رأسه ،
فرأته طفلا يحيو ، وصبيًا يفرج الى
معاهد العلم ، ويافعًا تفتتح نفسه للحياة
وقلبه للاحاسن وعقله للفهم والمعرفة ،
وشابًا يضطرم قلبه بما يضطرم به
قلوب الشبان من حب للجمال المتمثل
في امرأة ، وآمال واسعة في الحياة ،
يرجو تحقيقها في بلوغ مآربه من متعة
بذلك الجمال في ظل عيش لين هنيء .
وأحسن عندما وصل الى هذا الحد من
الذكريات بلذعة ألم فتنهت طويلة ، وقد
زاد في حسرته أنه ذكر ان في تربة هذا
البلد الامين قبرين يسمان رفات من كانا
أصل حياته ووجوده .

وقطع عليه تأملاته اضطرابه الى
الخطوع للاجرات الطويلة التي يتعرض
لها المسافرون عند وصولهم الى
الاسكندرية ، وقصد بعد أن خرج من
دائرة الجمرك الى أضخم فندق في
المدينة .

قضى سليم أيامه الأولى في الاسكندرية
يطوف في شوارعها ويقصد الى ضواحيها
وهو سواء في جوسه خلال المدينة ، او
في نزعاته في الضواحي ، يقابل بين
ما كانت عليه من قبل وما صارت اليه
الآن . ويتألم هذه الفروق في شوارعها
ومبانيها ومخازنها ، وفي الأسماء
والتنظيم مما كان يشقى مع التسامح

بقام

صديق شيبوب

شعر سليم بدقات قلبه تسرع متوالية
ويضيق في صدره ، واضطراب في
أعضائه عندما أعلن رجال الباخرة انها
دخلت المياه المصرية ، وكان اضطرابه
يزداد كلما اقتربت الباخرة من الشاطئ ،
وتبين معاله في شيء من الوضوح ، هذه
رمال تعلوها أشجار التخليل ، وهذه
المنارة ، لقد دخلت السفينة ميناء
الاسكندرية ، وظهرت مبانى الجمرك
تحجب المدينة ويطل من فوقها كوم

المدينة واكتمال زينتها . والمدن كالبند
في حاجة الى العناية بزینتها وظهور
محاسنها وجلاء روعتها .

وكثيرا ما قصد سليم في طوافه هذا
شارع السبع بنات . وما اليه من أزقة
وشوارع تصله بالشبكة الحديدية وشارع
الجمرك وشارع البحرية . تلك الاماكن
التي قضى فيها الذ ايام صباه وشبابه .
وجرى له مرة أن دخل إحدى العمارات
التي كانت تتوسط ذلك الشارع
لاستعادة ذكرى الماضي . وكان يسكن
شقة فيها .

شعر سليم أن قلبه يتأزعه صدمه
وأن نفسه تسيل في أعصابه حين احتواء
باب العمارة . وأجال نظره فيما حوله .
فاذا كل شيء لم يتغير . هذا باب غرنة
العم محمود البواب . وهذه الدكة التي
كان يجلس عليها . ولكن أين العم
محمود . ذلك الشيخ الطيب القلب الذي
كان يرافقه في ذهابه الى المدرسة ويعتني
بأمره في رفق وحنان .

رأى سليم شابا جالسا على الدكة
فسأله :

- أين بواب العمارة . فأجاب :

- أنا هو .

فلم يشأ سليم أن يسأل عن العم
محمود مخافة أن ينمى اليه فيزيد في
اضطرابه وسأله البواب عما يريد
فأجابته :

- لاشئ .

وصعد السلم . ولما وصل الى الدور
الثاني وقف أمام باب الشقة واستند
الى الحائط لانه أحس كأن الأرض تميد
به . وأن رجله لا تحتملانه .

وأحس بشوق ملح ليدخل المنزل .
ويطوف به مستعيدا الماضي المتفصل
بالذكريات .

ومد يده الى زر الكهرباء ليدق الجرس
ولكن شعورا داخليا أوقف يده وأعاد
الى صوابه .

تري ماذا سيقول سكان المنزل عن
هذا الزائر الفضول . وكيف يستقبلونه
وهل يفهمون مالى قلبه من عواطف
وشغور . ونزل سليم سراها كأنه
يهرب من نفسه وقلبه واحسانه .

عاد سليم اندراجة وهو بعيد في ذهنه
ماضى حياته . فوى نفسه صبيبا جدا
في طلب العلم وتحصيل الدرس . وقد
فقد والده قبل أن ينى الوجود . فعنيت
والدته بتربيته وتعليمه . لتفق عليه
مما تركه زوجها من مال واطيان . ولكن
المال نقد . والاطيان مرهونة لا يكاد يكفى
دفعها الوفاء أقساط اليك .

ورأى سليم نفسه شابا يعمل لينشئ
له مركزا في الحياة فيخونه الحظ في
عمله وفي قلبه . نعم في قلبه الذي كان
مليئا بحب جاراته «مارى» .

كم من الذكريات ازدحمت في نفسه
عندما جال أسسها في خاطره . انه
يذكرها حين جاءت مع والدتها الى الشقة
المقابلة التي كان يسكنها مع أمه وكانت
صغيرة مثلما كان صغيرا . فكانا يلعبان
معا ويتعاونان في تحضير الدروس وكتابة
فروض المدرسة . وكانا كلما كبيرا تبادلآ
آراءهما في الحياة . آراء فتية كالتى
يولدها خيال من في عمرهما . فيسر كل
واحد منهما لصاحبه ما يعمر به قلبه من
أمل ناهض في مستقبل حسن .

وتعابا كثيرا . . ذلك الحب الاول
الذي يذكره كل واحد في شيء من الحنين
والآلم . ولكن جيهما كان في أول أمره
هنيئا ليئا . أليسا على وفاق في عواطفهما
يضطربان بها في البيت أمام عيني أميهما
وفي المدينة حيث كان نزقهما يدفعهما .

فيسيران جنباً الى جنب كأنهما يريدان
أن يصيحبا في وجوه المارة: انظروا كيف
يتفق الطبيبان .

أنهى سليم دروسه وخرج الى الحياة
يطلب العمل فوجده في أحد البيوتات
التجارية حيث عين مستخدماً ، وأقصى
أمانيه أن يزيد في مرتبه حتى يتاح له
أن يحقق آماله في السعادة بزواجه من
التي اصطفاها قلبه .

وعلى شفثيه ابتسامة مريرة عندما
ذكر هذه السعادة المنتظرة . فقد طال
انتظاره لها كما طال بتحديدتها لماري
في ساعات ليلها ، ولكم جلس اليها
يحدثها عن حياتهما في المستقبل
متعاونين على سرائرها وضرائها ، في حين
كانت ماري تمسك بذراعه وتلقي برأسها
الى كتفه وتتخيل هذه السعادة التي
ترتاح فيها الى هذه الذراع الفتية .

وفي صباح أحد الايام فوجئ سليم
بالرفض من وظيفته لان تجارة الحبل
بارت ، ولأن الخسارة التي تكبدتها
أصحابه اضطرتهم الى الاقتصاد
التفقات ، وكان من ضرور هذا الاقتصاد
الاستغناء عن جماعة من المستخدمين
ومنهم سليم .

أسته ماري ، كما أسته والدته على
فقد وظيفته ، وقد قالتا له انه لا يزال
شاباً ، وان الحياة واسعة المجال أمامه
وان هذه أول كربة من كبوات الحياة
المليئة بالعسرات .

وطال عهده بالبطالة فلم يستطع أن
يجد عملاً ، وكانت أمه تنفق من دخل
الاطيان الذي كان يجب أن يدخر لوفاء
الدين ، فسامت حالهما في حين كانت
أعمال والد ماري في تقدم ونجاح . .
فانتقل بأسرته من منزل شارع السبع
بنات الى الرمل .

وفقد سليم بابتعاد ماري أكبر عزاء
له وأعظم معين على تحمل ما هو فيه .

على أن صلتها لم تنقطع ، وحبهما
لم يفتر ، كانا يلتقيان اليوم بعد اليوم
والفتية بعد الفتية ، فيطوفان بحبهما
بشواطئ البحر ومنتهزات الضاحية
الجديدة وشوارعها . . وفي مساء أحد
الايام كانا عائدتين الى منزل ماري بعد أن
تنزهتا طويلاً توقفت ماري فجأة عن السير
وقالت :

— سامع ياسليم ، اخبرني والدي
أمن أن قد تقدم أحدهم بخطبتي ، وأنه
نال حظوة لدى والدي وذويهما ، وان
ما علمناه عنه يكفي لتزكيتك .

— وماذا قلت :

— لبثت صامئة فلم أله بكلمة .
— لعله ظن صمتك عن حياه ، وانك
راضية بمن يختارونه لك ، ولأن
أصالك يدري ماذا تلوين ؟

فلم تجب ماري على سؤاله ، أما هو
فان هذه المفاجأة قطعت عليه الكلام
فتلعثم لسانه وارتمى عليه . ومن الناس
من اذا ثارت أعصابهم انفجرت ثورتهم
كلاماً على لسانهم ، ومنهم من تقطع عليهم
ثورة الأعصاب الكلام فلا يجدون اليه
سبيلاً بينهم يشعرون بالظلم يلهب
أحشائهم ، وهؤلاء هم الذين اعتادوا أن
يعيشوا بخيالهم فيخفون عواطفهم كأنما
يفضون بها على الناس جميعاً ، وهكذا
كان سليم .

ومضى سليم الى جانب ماري ، وليست
تلك النار المتقدة في النجوم البعيدة
بأشد مما في قلبه ، وكان يردد بين حين
وحين .

— انك لن ترضى به ، قولي انك لن
ترضى به .
وظلت ماري صامئة ، وأمسك سليم

بيدها فإذا هي باردة ، ونظر إلى وجهها
فإذا الدمع يتساقط من عينيها ببطء .
« أنت ياماري من حبيبة ، لا تبكي
فإن عينيك لم تخلقا للبكاء ، ولا تضطربي
فإنى مادت حيا أُنديك بكل عزيز لدى
حياتي فداء لك .. سأحدث اليوم إلى
والدتي لعلها ترضي بزواجنا وسأشتغل
للعيش سعيدين والله رؤوف بعاشقين
تعيّن من عياده المخلصين .
وظلت ماري صامئة .

وافترقا على أن يلتقيا ، وأفضى سليم
إلى أمه بما كان ، فأجابته بأن أقصى
أمانيتها أن تراه رب بيت ووالد ، ولكن
أين السبيل إلى هذا وحالتهم على
ما يعرف ، وما دامت الفتاة تحبه كما
يدعى ، فليشر عليها بالصبر حتى يفتح
الله عليه بالفرج . ولا يضربها الصبر
لأنها لا تزال في ميعة الصبا ومقتبيل
العمر .

وجاءت ماري في الموعد المضروب كما
عودت سليما من قبل ، وقد ظلت كذلك
صامئة عندما أخبرها بما قالت أمه ،
ولكنها لم تلبث أن أقبلت عليه في عطف
وحنان ، فهدهت ناعمة نفسه ، وقرت
خلجات قواذه ، وظن أن ماري قد اطمانت
إلى حديثه ، ورضيت بما عرضه عليها ،
ولم يدر في خلده أن ماري قد استقرت
عزيمتها على طاعة والديها ، وأنها تريد
أن تتودع من هذا الوجه الذي طالما
أحبته ، ومن هاتين العينين اللتين طالما
طالعت فيهما الهداء المرتقب والسعادة
والموعودة واللتين طالما سهرتا عينيها
ونفا الرقاد عن جفניה .

أجل إن الأنوثة المركزة في نفس
ماري دلتها على أن الفتاة في الشرق
مصيرها الزواج لتعيش حياتها مطمئنة
إلى رجل يعولها ويدفع عنها غوائل الحياة
ومخباتها المزعجة ، وإذا كانت المرأة
أدق عاطفة من الرجل وألهب احساسا

فإنها أسرع منه إلى التصحية بهسده
العاطفة احتفاطا لمستقبلها وصونا
لفضلتها .

رأت ماري أن الزمان يمر مسرعا ،
وإن للشباب موافيت يزول بزوالها ،
وإن الدنيا حطوط وقرص يجباتتهاؤها
إذا أقبلت ، والمرأة أقرب إلى الحياة
العملية من الرجل ، فبينما يسرع بعض
الرجال في حياتهم العاطفية زواجا مثل
أهل يتخيّلونه في الجمال والحياة ..
تستعرض أكثر النساء بحياء عملية لينة
وينبذن الخيالات والأوهام .

وهكذا شعر سليم أنه قفف به من
حالي حين أخبرته ماري أنها نزلت على
إرادة والديها وأنها رضيت بالزواج مع
اختاروه لها ، وإن هذا الموعد آخر ما
يضرب بينهما .. وأظهرت ماري من
الشجاعة والتجمل ما جعل سليم يشك
في حياء الطويل له .

الله في صرح آماله المتهدم ، أيز
المستقبل الذي حلم به سليم ، وأين
السعادة التي طالما رجاها ، وأين ما في
آمال وأمانى .. لقد تلاشى الحلم ..
وتبددت الأوهام ، وهذا الحياة تبدو
على حقيقتها المخيف تصرعه فلا يدري
مايقوله ، ولا يملك غير أن يردد :
- هذا صعب الاحتمال ، إنه مستحيل
أنت تقولين هذا ياماري .

وكانت ماري ترد عليه :
- سوف تنساني ياسليم .. ألم
تكف هذه السنوات الطويلة التي تحابينا
فيها .. ألم تملنى .. ليس ما بك حب
ولكنها العادة .. سوف تحب غيري ..
وتألف حياء كما ألفت حبي ، سوف
تبرا ما أنت فيه .

وعندما افترقا لم يجرؤ سليم أن
يلبس يدها ، وكان شيئا من الخفر
حال بالراحم من ماري بينها وبين أن تضمه

الى صدرها تلك الضمة التي كانت أملها في الحياة .

بالشفاء القلب البشري ، أبقي أن يحجب وجه محبوب ، وإن تحول عينان طالما طالعا في حظيها الحب وفي نورهما الهوى واللذة حتى يخيل اليها أن الناس ليسوا كما عهدتهم ناسا وإن الأشياء ليست كما عرفناها أشياء ، ما الحياة ، وما العالم ، وما الناس ، وما الأشياء في ساعة مثل هذه الساعة ، ظن سليم أن الأرض تמיד به وإن الحياة تتسرب من جسمه شيئا فشيئا ، وأنه سيلقى لعبه في ليلته تلك ، وهل يذكر أنه بعد أن ترك ماري مر بخط الترام وسمع صوت عرباته آتية من ورائه فشمع كان شيئا يقذف به على قضبان الحديد لعل العربات تمر عليه فترجحه لما يعانيه . . ولكنه تماسك ، ويذكر أنه انكأ الى جدار قريب ، وأنه أمسك بهذا الجدار مخافة أن يقذف بنفسه تحت عجلات الترام . وسامت حالته بعد ذلك كثيرا إذ أعوزته وأمه المال ، فبيعت الاطيان واقترا . . وماتت أمه حسرة وكيدا .

أما هو فتذكر أن له عيا في أمريكا فأرسل اليه يخبره بما أصابه فبعث اليه بشئ من المال يساعده على السفر اليه . وكانت الوحدة في الاسكندرية قد أمضته بعد وفاة أمه فما كادت تصله النقود حتى سافر تاركا في الاسكندرية امر ذكرياته ، حاملا في نفسه قلبا مخطيا وجراحا دامية .

ذكر سليم كل هذا بينما كان عائدا من شارع السبع بنات الى الفندق وذكر كذلك كيف استقر في أمريكا ، وكيف عمل ، وكيف أثرى ، وذكر أيضا كيف صدف عن النساء مخافة أن يعلق قلبه يجب جديد لا قبل له بدفعه ، ولا سبيل له الى احتياله بعد أن قاسى ما قاساه . .

وهو لا يدري كيف عاد الى الاسكندرية ولماذا عاد اليها ، وكل الذي يعرفه انه أحسن بشسوق ملح الى رؤية المدينة ومشاهدة المعالم التي كانت ملاعب صباه ومراح شبابه .

قضى سليم أكثر من عشرين يسوما بالاسكندرية استعداد في خلالها صلاته ببعض أصدقائه القدامى من رفاق صباه وأخوان شبابه ، ولكنه لم يجزؤ مرة أن يسأل أحدهم عن ماري وماذا أصبحت ، وكيف هي الآن ، وكان احساسا داخليا كان ينبته بأنه سيلقاها مصادفة . . وهكذا كان .

فانه بينما كان واقفا مرة على باب محل حلواني كبير بشارع فؤاد بسيدة خصية الجسم ، حلوة الملامح تنظر اليه طويلا ، فخييل اليه انه يرى ابتسامة مبهمة تهيم على شففتها ، وهم أن يلحق بها ، وأشد ما كانت دهشته حين رآها تعود اليه فظن انها تريد دخول محل الحلواني فتنتحى لها عن الباب ، ولكنها تريثت قليلا ثم نظرت اليه مبتسمة وقالت :

— بونجور ياسليم ، كيف أنت ومتى عدت الى الاسكندرية ؟

من يصف شعور سليم حين بلغ مسامعه هذا الصوت الذي طالما ود سماعه وتعرف هذه الابتسامة الرقيقة التي طالما تالم لاجلها .

ماري . . أجل انها هي . . وقد عرفت سليما حين رآته ، وترددت في مخاطبته ولكنها فطنت الى أنه ربما لم يعرفها وقد تبدلت بعد الزواج ، فتركزت خطوط وجهها ، واكتملت أعضاء جسمها اكتنازا وخصيا .

وسارا يتحدثان جنبا الى جنب . . زار سليم ماري مرارا في منزلها . . وكان في كل مرة يشعر بأن قلبه

يستعيد عواطفه التي كانت راكدة في
قرارة نفسه ، وإن ما طنه قد زال وانقضى
أخذ يظفر على صفحة الزمان قريبا عذيفا
كما كان ..

وتعرف سليم إلى زوج ماري ، وعلم
دقائق حياتها وما تقاسيه من ألم لأن
زوجها يهملها فيلظى نهاره في عمله
وليله في أندية القمار ودور اللهو طنا
منه إذا كفى زوجته الحاجة والندق عليها
المال فقد كفاهها كل شيء ، ولا يلقي بالا إلى
عواطفها وما يضطرم به فؤادها من عذر
إلى عطف وحنان وحب ، ولولا أن ورثها
الله بعد زواجها بسنتين غلاما جميله
موضع حبا لكانت من أتعس الزوجات ،
ولج الحب بسليم حتى لم يطق صبرا
ولم يستطع صمتا ، فبت لواعجه لماري
التي أصغت إليه بعطف واخذت تدافعه
برفق كما فعلت يوم قطعت علاقتها به ،
إن لها اليوم زوجا يجب أن تصون
شرفه ، ولها ولدا يجب ألا يستحي بأمه
ويعد ليست الحياة واجبات تقضيها ،
وشرائع تعمل بسنتها وتصف عن
نواهيها .

ولكن هذه الاعتراضات التي قدمتها
ماري لسليم في قوة وتشدد عندما شرع
يذكرها بحبهما القديم ، أخذت تتخاذل
شيئا فشيئا ، وكانت زياراته الطويلة
وجلوسة اليها منفردين تقرب بينهما ،
وتبعث في قلب ماري عواطف كانت قد
تناستها مع مرور الزمان .

وهكذا تخاذلت ماري شيئا فشيئا
أمام عواطف سليم اللطيفة ، وحججه
الوجدانية المؤثرة .

كيف ترضى بأن تصون شرف رجل
لا يعنى بأمرها ولا يعمل على إسعادها
والاحتفاظ بها ، اليس من حقها أن تنعم
بالحياة كما تنعم ، وأن تلبي دواهي قلبها
كما يفعل وما الواجبات ، وما الشرائع ،

وما الحياة إذا جسد جسد العيش وزال
الشباب ولم يبق غير الشيخوخة المضمنة
أما ابنها فهو عند سليم بمنزلة الولد ،
وسيحثو عليه أكثر من حنو الآباء .

وجلس سليم في أحد الأيام يعيد
بت لواعج حبه المضطرم ، ويلج في حملها
على تلبية نداء قلبها ، وشعرت ماري أن
سليما على حق فيما يقول ، وإن عقلها
ينهزم أمام قلبها ، وإن عزمها تتلاشى
أمام عواطفها ، وطالع سليم في غيبي
ماري الحب والهوى ، وقد وثت نظراتها
وانقذت حذقتها ، ورأت شفتيها
تضطربان وصدرها يخفق .. وفجأة
فتح باب القرفة والندف ابنها الصغير
نحوها متأذيا :

- ماما .. ماما .

وقف العاشقان كل أمام صاحبه
وجها لوجه ، واحتضنت الأم ابنها وقبلته
قبلة طويلة ووضعت بينهما وبين سليم
وقد عاد اليها هديرها طماننتها .

فهم سليم أن لا سبيل إلى استعادة
الماضي والفوز بقلب ماري ، وإن كل
تعاطف بينهما يجب أن يزول ، فودعها
وانصرف .

بينما كانت ماري وزوجها يتناولان
طعام الغداء في اليوم التالي قال الزوج :

- زارني اليوم صديقنا سليم بمكتبتي
وأخبرني أن عملا مستعجلا يضطره إلى
السفر إلى أمريكا غدا وأنه لن نتاح
له فرصة سانحة للتوديع فرجاني أن
اعتذر اليك عن قصيره .

وبعد صمت قصير قال الزوج

- التفت بسليم منذ أسبوع فكان
لنشاط الحركة تبدو عليه مظاهر الصحة
والشباب ولا أدري ماذا أصابه بعد
ذلك . فقد خيل لي اليوم أنه قد هزم
وبدا كأن سنه قد زاد في هذا الأسبوع
عشر سنين .